

الدكتور كيفن إي فريديريك، الوالدنسيون، المحاضرة 6 الخروج من ظلال التاريخ، تبديد الأساطير © 2024 كيفن فريديريك وتيد هيلدبراندت

هذا هو الدكتور كيفن فريديريك في محاضراته عن تاريخ الوالدنسيين. هذه هي الجلسة السادسة، من ظلال التاريخ، تبديد الأساطير

الآية التي نقرأها في هذه العظة هي من رسالة تيموثاوس الأولى 1، الآيات 3 إلى 5. استمع إلى كلمة الله. أحثك هناك، كما فعلت عندما كنت في طريقي إلى مقدونيا، على البقاء في أفسس حتى تتمكن من تعليم بعض الناس ألا يعلموا أي تعليم مختلف وألا ينشغلوا بالأساطير والأنساب التي لا نهاية لها والتي تعزز التكهانات بدلاً من التدريب الإلهي المعروف بالإيمان. لكن هدف مثل هذا التعليم هو المحبة التي تأتي من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان غير مخلص.

كلمة الرب. الحمد لله. كتب بولس هذه الكلمات إلى تلميذه تيموثاوس ليحذره وغيره من المهتدين الجدد إلى الإيمان بالمسيح من أهمية التركيز على العلاقة مع المسيح بدلاً من الانجراف وراء عقلية التأكيد على نسب المرء أو القصص الأسطورية عن أصله والتي لا أساس لها من الصحة في الإيمان بالمسيح

إن القيام بذلك كان بمثابة محاولة لإثبات مصداقية المرء على أساس النسب أو الإنجازات وليس على أساس الإيمان القائم على محبة الله الثالوثي الذي تم الكشف عنه من خلال نعمة ورحمة يسوع المسيح. في استكشاف أصول الحركة الوالدنسية، هناك أساساً روايتين بديلتين للسرد التاريخي الأساسي تستندان إلى حياة فالديز. بالإضافة إلى ذلك، هناك العديد من الاختلافات داخل كل سرد بديل، والتي تميل إلى إرباك طلاب التاريخ.

إن تأسيس الحركة الوالدنسية يتداخل مع قصص أصلية تتضمن إشارة إلى تعاليم أسقف كاثوليكي متمرد من تورينو في القرن التاسع يدعى كلود. وهناك أيضًا رواية أقدم ترجع إلى قصة قسطنطين في القرن الرابع الميلادي. وننتقل أولاً إلى قصة هبة قسطنطين للكنيسة

يُقال إن قسطنطين أوصى في وقت وفاته بنصف الإمبراطورية الرومانية للبابا سيلفستر في أوائل القرن الرابع الميلادي. ومن الجدير بالذكر أن الدراسات التاريخية أثبتت أن قصة تبرع قسطنطين كانت في حد ذاتها أسطورة. وقد ابتكرتها الكنيسة الكاثوليكية الرومانية في القرن الثامن الميلادي كوسيلة للكنيسة لتبرير استحواذها على ثروة وممتلكات ضخمة أمام النقاد من داخل الكنيسة الرومانية وخارجها

هذه الأسطورة السردية، التي صيغت في الأصل في القرن الثامن، تم تزيينها بعد مئات السنين من قبل المؤمنين الوالدنسيين للتأكيد على أصول ما عرفه الوالدنسيون بأنه انقسام قديم داخل الكنيسة المبكرة في معارضة للكنيسة الكاثوليكية الرومانية، والتي قبلت واستفادت من تحقيق ثروة وقوة عظيمتين. ولهذا السبب يقولون إن الباباوات الرومان ليسوا خلفاء الرسول بطرس بل خلفاء قسطنطين. تم تعديل أسطورة تبرع قسطنطين بشكل أكبر للإحياء بوجود بقايا أقل شهرة وأصغر حجمًا ولكنها مخلص للكنيسة، والتي أكدت على أهمية التركيز على خدمة المسيح الخادمة التي تميزت بنذور الفقر والتواضع

انتشرت الأسطورة المعدلة عن تبرع قسطنطين شفهيًا على نطاق واسع بين أتباع الوالدنسيين بدءًا من أواخر القرن الثالث عشر. ويمكن توضيح ذلك على النحو التالي. كانت الكنيسة مقدسة حتى تبرع قسطنطين عندما قبل سيلفستر الأول التبرع بينما رفض أحد رفقاء سيلفستر وتركه

وببطء، سقط الجزء الأكبر من الكنيسة في الشر، بينما بقي جزء أصغر من الكنيسة في الحقيقة. وهذه هي المرحلة الأولى من تفسير المعارضة لروما، والأصل التاريخي لانقسام الكنيسة المقدسة الأصغر في وقت التبرع. والمرحلة اللاحقة يقودها الوالدنسيون، وإن لم تكن بالضرورة متزامنة معهم.

إن أولئك الذين يشيرون إلى هذه القصة الأصلية يؤمنون بأن الشهادة المتواصلة للكنيسة الحقيقية استمرت منذ العصر الرسولي حتى الشهادة الأمانة لمجموعة صغيرة نسبيًا من المسيحيين الذين كانوا هم أنفسهم أتباعًا حقيقيين للمسيح، أسلاف الودنسيين. إن أقدم تاريخ مسجل لهذه الأسطورة موجود في مصدر يسمى كتاب المنتخبين، والذي كتب في عام 1367. وقد تناولت رسالة عام 1367 بالتفصيل الانقسام في الكنيسة الرومانية في وقت التبرع عندما تم منح نصف ثروة الإمبراطورية الرومانية التي منحها قسطنطين في عام 325 للكنيسة الرومانية.

وقد زُعم أن الانقسام حدث داخل الكنيسة بين سيلفستر الأول، الذي قبل الثروة والأرض من الإمبراطور قسطنطين، وبين هؤلاء القلائل المؤمنين الذين تمسكوا بالفقر ورغبوا في البقاء في الكنيسة النقية. وقد روى كتاب المختارين أعمال أولئك الذين كانوا في مكان الرسل، وهذا ما تؤكد أنه أصداء متعمدة من سفر أعمال الرسل. وعلى مدى مئات السنين، كان من الصعب تحديد قصة أصول شعب الودنسيين بدقة.

يرجع هذا جزئيًا إلى حقيقة مفادها أن الكنيسة الرومانية استخدمت قدرًا كبيرًا من التاريخ المسجل للوالدنسيين كدليل على هرطقتهم، ثم أحرقه المحققون بعد انتهاء المحاكمة. ننقل الآن إلى استكشاف الحقائق التاريخية المحيطة بأصول قصة الودنسيين. لقد تم الاعتراف منذ فترة طويلة بأن فالديز، والدو ليون، في عام 1172، كان مؤسس حركة الودنسيين.

هناك بيانات تاريخية كافية لدعم وجوده والخدمة التي بدأها، والتي نشأت من المجاعة التي أثرت على المنطقة المحيطة بليون. هناك أيضًا أدلة تشير إلى إمكانية وجود مصدر للأساس اللاهوتي بين أتباع والدو وتعاليم كلود من تورينو، الذي تم تعيينه أسقفًا لتورينو في عام 817 في الكنيسة الكاثوليكية الرومانية. كان كلود زعيمًا مسيحيًا إنجيليًا صريحًا وكان طالبًا ذكيًا وفطيرًا للكتاب المقدس.

استنادًا إلى تفسيره للكتاب المقدس من العهدين القديم والجديد، عارض كلود عبادة الصور المقدسة في الكاثوليكية. وسعى إلى إزالتها من جميع الكنائس داخل أبرشيته. كما بشر بالعقيدة، تبرير الإيمان.

كما نفى كلود المطهر وعبادة الآثار ورفض فعالية الحج كوسيلة للتوبة. وعندما تخلص كلود من الصور المقدسة الموقرة في الكنائس داخل الأبرشية، قال إنه إذا أراد الناس أن يعبدوا الصليب لأن المسيح عُلق عليه، فيجب عليهم أيضًا أن يعبدوا المذود لأنه نام فيه أو الحمير لأنه ركب عليها. لا يوجد دليل أو وثائق تاريخية موجودة توفر صلة تاريخية مباشرة بين تعاليم كلود وظهور والدو والفقراء في ليون في القرن الثاني عشر.

من المعقول أن يكون الكاثوليك الرومان في منطقة بيدمونت في شمال إيطاليا قد نقلوا معتقدات كلود غير التقليدية ولكنها دقيقة من الناحية الكتابية من جيل إلى جيل. ومع ذلك، في غياب أي وثائق تاريخية تربط بين المعتقدات والممارسة التي تبناها كلود ثم والدو وأرنولد من بريشيا، لا يمكن استنتاج أن كلود أثر بشكل مباشر على والدو وأرنولد. ومن المرجح أن تستمد المقارنات في المعتقدات من دراسة نفس مصدر المعتقد. وخاصة أناجيل العهد الجديد ورسائل بولس.

بعد أكثر من 300 عام من وفاة كلود، بدأ أرنولد من بريشيا في جمع مجتمعات صغيرة في منطقة لومباردي حول ميلانو، المجاورة لأبرشية تورينو. درس أرنولد مع بيتر أبلارد وبدأ في بناء نموذج الإيمان المسيحي

والمجتمع القائم على أن يصبح المرء تلميذًا للمسيح ويشارك ممتلكاته مع جيرانه. درس أرنولد بعناية تعاليم الكنيسة الأولى، كما كُشف عنها في سفر أعمال الرسل.

ومن خلال دراساته، نظّم مجتمعًا دينيًا بديلاً لمجتمع الكنيسة الكاثوليكية الرومانية الثرية ومعتقداتها وممارساتها. ورغم أنه لا يمكن تصنيف الأسقف كلود باعتباره من طائفة الوالدنسيين، فإن الاستنتاجات، المتوازنة لإعلانه باعتباره أسقفًا كاثوليكيًا رومانيًا مع المعتقدات المسيحية للوالدنسيين لا يمكن إنكارها ويظل من الممكن أن تكون معتقدات كلود قد أثرت على أرنولد وأتباعه أثناء تطويرهم لمجتمعاتهم الدينية الخاصة. ومن الجدير بالذكر بالمناسبة أنه خلال القرن العشرين، أطلقت كنيسة الوالدنسيين في إيطاليا على تقديرًا للشهادة الكتابية للأسقف كلود من تورينو Claudiana Press دار النشر الرسمية الخاصة بها اسم

،إن هذا الارتباط بالإيمان يحظى بتقدير عميق اليوم من جانب الوالدنسيين المعاصرين. وعلى أقل تقدير يمكننا أن نستنتج أن العديد من مبادئ العقيدة الوالدنسية لها أوجه تشابه مع خدمة تعاليم الأسقف كلود في القرن الثامن. ومع ذلك، يظل من غير المنطقي تمامًا أن نزعّم أن هناك مجتمعًا منظمًا من المؤمنين بدأ في زمن الأسقف كلود وظل سليمًا ومتميزًا ومنفصلًا عن الكنيسة الكاثوليكية من القرن التاسع وحتى القرن الثاني عشر، عندما بدأ والدو خدمته.

والآن ننتقل إلى الأسباب التي أدت إلى نشوء هذه الأساطير. فهناك دلائل تشير إلى أن المؤلف المجهول لكتاب المختارين أدرك الحاجة إلى وجود نص مكتوب لتاريخ الوالدنسيين في مجتمع كان لا يزال يركز بشدة على التواصل الشفهي. وقد تم تأليف الكتاب بطريقة تجعل من السهل حفظه ونقله شفويًا كأداة تعليمية مفيدة لأولئك الوالدنسيين الذين كانوا في ذلك الوقت منتشرين في مختلف أنحاء أوروبا الغربية.

لقد احتاجوا إلى تاريخ يسهل سرده دون الاعتماد على نص مكتوب. وعلى مدار تاريخهم، دأب محققو الروم الكاثوليك على تدمير السجلات والكتابات والكتب الوالدنسية، الأمر الذي جعل التقليد الشفوي أكثر أهمية للحفاظ على أصول الوالدنس. ومع مرور الأجيال، تزايدت الفرصة للسماح بقدر أعظم من الحرية في إعادة بناء الماضي.

وقد أدى هذا النهج إلى إدخال العديد من المراجعات على الأساطير، حيث حاولت الأجيال اللاحقة قراءة نقطة أصول إيمانهم من منظور عكسي. وكان كتاب المختارين وثيقة قصيرة للغاية وشاعرية. وقد كُتب بعض أجزائه بعبارات إيقاعية متقطعة، بلغت ذروتها في عهد كونت فالديز.

إن الإيجاز والإيقاع في النص يشيران إلى أن النص قد تم إنتاجه عمدًا للحفظ. إن السرد الموجود في كتاب المختارين كان في الأساس أداة مفيدة لتبرير تبني نذر الفقر والعفة جنبًا إلى جنب مع الدعوة إلى الوعظ وكيف كنا أداة في حياة الواعظ المتجول الوالدنسي. هذا الكتاب مفيد أيضًا في جهوده لتشجيع جميع الأتباع على البقاء ثابتين في مواجهة الاضطهاد من قبل الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، كما واجهت كنيسة الرسل المبكرة الاضطهاد من قبل الإمبراطورية الرومانية، وبالتالي إضفاء الشرعية على شرعية تصور الوالدنسيين لرؤية أنفسهم باعتبارهم البقية المؤمنة للكنيسة الحقيقية على النقيض من الكنيسة الكاثوليكية الرومانية الغنية.

منذ إنشاء محاكم التفتيش في القرن الثالث عشر وخلال موجة تلو الأخرى من الاضطهاد التي أقرتها الكنيسة، كانت الرواية التي وصفت نفسها بأنها البقية الحقيقية للكنيسة تدعم شهادتهم المخلصة. ويمكن تتبع التعديلات اللاحقة لأسطورة تبرع قسطنطين لسيلفستر من خلال ملاحظة التغييرات في الطبقات اللاحقة لكتاب المنتخبين. فالديز في القرن الثاني عشر، ومع ذلك لم يكن هناك أي سجل لاسم أول منسوب إلى فالديز حتى القرن الرابع عشر.

في الطبعة الأولى من كتاب المنتخبين في عام 1367، تم تقديم فالديز من القرن الثاني عشر لأول مرة باسم الرسول بطرس. وبحلول عام 1420، في مراجعة لاحقة لكتاب المنتخبين، تم تقديم رجل يدعى بيتر فالديز لأول مرة باعتباره معاصرًا للبابا سيلفستر في القرن الرابع عشر. في تلك الطبعة، يزعم أن بيتر فالديز لم يكن مؤسس الحركة الوالدنسية ولكن تم تحديده كواحد من رفاق سيلفستر، الذي أصبح في وقت التبرع حافظًا للكنيسة الحقيقية، مما يشير فعليًا إلى وجود رابط بين فالديز وأتباعه طوال الطريق إلى تأسيس أعمال الرسل.

وفي أوائل القرن الخامس عشر، تم تأليف مخطوطة والدينسية أخرى، نسبت بعض الكتابات الوعظية إلى كاردينال كاثوليكي روماني معين يدعى بيتر فالديز. ومن كل من هذه الأمثلة على التاريخ المنقح، يصبح من الواضح أن القصص التي تنقل أصول الوالدنسيين قد تم تنقيحها مرارًا وتكرارًا طوال القرنين الرابع عشر والخامس عشر. ولكن لفهم أسباب هذه المراجعات لتاريخ الشهادة الوالدنسية بشكل أعمق، نحتاج إلى إلقاء نظرة أخرى على الدور الذي لعبه الاضطهاد لمئات السنين.

في غضون جيل واحد، بعد أن وصم الكنيسة الكاثوليكية حركة الوالدنسيين وأتباعها بالهرطقة في عام 1215، وجهت الكنيسة غضبها ضد الوالدنسيين من خلال نظام محكمة كنسية مدعي عام منظم للغاية يسمى محاكم التفتيش، والذي تم إنشاؤه في البداية لتدمير بدعة الكاثارية الثنائية وكان منذ ذلك الحين يوجه غضبه الكامل ضد أتباع والدو. وعلى مدى السنوات الثلاثين التالية، نظمت محاكم التفتيش على نطاق واسع ووحدت إنشاء كتيبات تعليمية مكتوبة وزعتها البابوية على جميع المحققين. وفي محاولة لتوحيد الملاحظة الفعالة لمحاكم التفتيش، تم تخصيص محاكم التفتيش في النهاية حصريًا لرهبة القديس دومينيك الكاثوليكية.

في عهد الدومينيكان، كانت الكنيسة الكاثوليكية تمتلك أداة فعالة للغاية لمحاكمة كل الهراطقة. فقد نسق الدومينيكان جهود الكنيسة مع القضاة المدنيين لمعاقبة الهراطقة، في أغلب الأحيان بالإعدام والحرق على الملح. وخلال ثمانينيات القرن الخامس عشر، دعا البابا إنوسنت الثامن، الذي كان يشغل منصب محقق قبل أن يصبح بابا، إلى شن حملة صليبية مقدسة ضد الوالدنسيين.

وبذلك، استخدم كل غضب الكنيسة في القضاء التام على كل مؤمن بالوالدين. وقد ركزت الحملة الصليبية الوالدينية، بقيادة رئيس الشمامسة كاتانيو، على المجتمعات الوالدينية في منطقة جبال الألب الكوتية، ولم تنجح إلا جزئيًا. ومع ذلك، كانت لها عواقب مدمرة على الآلاف من ضحايا الوالدين الذين واجهوا اضطهادات قاسية وغير إنسانية.

منذ أن تم تنظيم محاكم التفتيش تحت سلطة الدومينيكان، بدءًا من منتصف القرن الثالث عشر فصاعدًا، لم تتم مصادرة ممتلكات الآلاف من الوالدنسيين وبيعها للكاثوليك الرومان فحسب، بل تعرض العديد من الوالدنسيين للتعذيب، وغالبًا ما تم إعدامهم بالحرق على الملح بسبب معتقداتهم. اعتقدت الكنيسة الكاثوليكية أنه بحرق أجساد الزنادقة، لن يكون هناك جسد مادي يقوم عندما يعود المسيح للمجيء الثاني. في الأيام الأولى لمحاكم التفتيش، أحرقوا حتى جثث أولئك الذين تم تحديدهم على أنهم والدينسيون بعد وفاتهم.

كان الأطفال الوالدنسيون يُختطفون من أسرهم من قبل القساوسة الكاثوليك الرومان وقادة الكنيسة وتربيتهم الكنيسة على اعتناق العقيدة الكاثوليكية الرومانية. وقد فرضت الاضطهادات ضغوطًا كبيرة على الحركة الوالدنسية بأكملها وعلى حياة كل مؤمن بالوالدينسية لمئات السنين. وكوسيلة لتعزيز إيمان القادة والمؤمنين في الاضطهاد العظيم، خدم كتاب المختارين في دعم الإرث الدائم للحركة الوالدنسية مع ارتباطها المباشر بتعاليم يسوع ومجتمعات الإيمان الرسولية المبكرة.

في تأمله للفهم الأسطوري للتاريخ الوالدنسي، كتب بيتر بيلر أن التاريخ يمكن تذكره بحدة شديدة، ولكن يمكن أيضًا تبسيطه ودمجه من خلال مرور الوقت وحيل الذاكرة وتلويحه وزواياه بطرق متعددة أثناء المرور عبر منظور عقل الصديق الفردي. تشير كل هذه المشتقات في النهاية إلى الاستخدام الواسع النطاق للتاريخ

في ذلك العصر لتعزية المؤمنين أثناء معاناة ويأس الاضطهاد. لقد صمدت الطبيعة الشجاعة للوعاظ الوالدنسيين، الباربا، ومجتمعاتهم المتفرقة من الإيمان ليس فقط في وجه الاضطهاد المستمر للكنيسة، الكاثوليكية الرومانية، بل نجت لاحقًا من الهجمات العسكرية المنظمة التي نظمها ملك سافوي، أمة فرنسا لأكثر من 500 عام، ونجا من 33 اضطهادًا منظمًا

خلال تلك الفترة من الزمن، كان تأكيد باربا على دمج التواضع الذي يجسده المسيح والإيمان الذي يركز على نعمة الله ويسوع المسيح هو الذي قاد شعب الوالدنسيين في جهودهم للبقاء على إيمانهم. تطورت الأساطير القديمة في ظل ظروف معاكسة للغاية وأصبحت ضرورية للوعاظ الوالدنسيين وأتباعهم ليكون لديهم إيمان قوي ولمسوس يمكنهم التمسك به حتى عند نقطة الموت. بدون الإيمان بقدسية قضيتهم وبدون الشعور بالارتباط المباشر بالمسيح وتلاميذه الأصليين، كانت حركة الوالدنسيين، تحت أجيال من الضغط المستمر لتسلك نفس الطريق الذي سلكته كل حركة أخرى في العصور الوسطى، والتي وصفها الكنيسة الكاثوليكية الرومانية بالهرطقة

خلال العقود الأولى من الإصلاح البروتستانتي، وبينما كانت البروتستانتية تؤسس لمصداقيتها وشرعيتها، أشار عدد كبير من العلماء البروتستانت إلى الوالدنسيين باعتبارهم أسلافهم الدينيين، مستشهدين بالأساطير المحيطة بأصولهم. نظر البروتستانت إلى الوالدنسيين باعتبارهم رواد إيمانهم الخاص واعتبروهم حماة للكنيسة الحقيقية. أشار المؤرخان الوالدنسيان الأوائل جون ليجر وصامويل مورلاند في تجميعاتهما لتاريخ الوالدنسيين في أوائل القرن السابع عشر إلى العديد من الأساطير المحيطة بأصولهم

وباستخدام أدوات علم التأريخ كما كان مفهومًا في عصرهم، طور المؤرخان أولى الأعمال الرئيسية في تاريخ المجتمع الوالدنسي التي تم تسجيلها. وقد اعتمد المؤرخان بشكل كبير على التاريخ الشفوي كما تم تناقله من الأجيال السابقة في سعيهما إلى الحفاظ على تاريخ موثوق. وكان من المقبول في ذلك الوقت أن يمزج المؤرخان الدقة التاريخية مع المعتقدات التاريخية الراسخة والتي لم تدعمها أي أدلة فيما يتعلق بالهوية الذاتية، والتي ظهرت في حالة السرية والعزلة الجغرافية والاضطهاد

واليوم، يعمل التاريخ كشاهد موثوق على أن حركة الوالدنسيين كانت الحركة المسيحية الوحيدة التي اعتبرتها الكنيسة الكاثوليكية الرومانية هرطوقية، وقد نجت حتى العصر الحديث. وكان شعب الوالدنسيين بقيادة وعاظهم، الباربا، هم الذين ركزوا بشكل أكثر فعالية ودقة على توصيل تعاليم يسوع وتأثير حياته وموته وقيامته إلى عامة المسيحيين قبل الإصلاح البروتستانتي. وطوال تلك الحقبة، عكس الوالدنسيون شهادة كتابية آمنة لتعاليم يسوع وتعليمات الرسول بولس عندما كتب إلى تيموثاوس

إن هدف مثل هذه التعليمات هو المحبة التي تأتي من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان صادق. إن جوهر هذه المعتقدات والممارسات يظل في صميم الشهادة المسيحية الآمنة اليوم، كما كان في كل العصور. باسم الآب والابن والروح القدس

آمين. هذا هو الدكتور كيفن فريدريك في تعليمه عن تاريخ الوالدنسيين. هذه هي الجلسة السادسة، من ظلال التاريخ، تبديد الأساطير